قصة ذى القرنين

والقصة التى أقف عندها من قصص أهل الجنوب واحدة مما كتب وهب بن منبه فى كتابه التيجان ، وهى قصة ذى القرنين .. وذو القرنين تقدم كثير من المفسرين ليؤكدوا انه الاسكندر المقدونى أو الرومى كما يسمونه ، فيفصلونه بهذا فصلا عن دائرة الأسطورة العربية .. أما وهب فيقدم أسطورة متكاملة عن ذى القرنين الذى هو الصعب بن الحارث الرائش الحميرى ، ويسارع وهب مقدما بين يدى قصته حديثا عن على بن أبى طالب انه قال (حدثوا عن حمير فان فى أحاديثها عبرا) .. ولعله يشير بهذا الى ما فى القصة التى يحكيها عن ذى القرنين من مضامين ودلالات ، وربما كان يريد أن يؤكد أن ذا القرنين هو هذا الملك الحميرى لا سواه .. على أية حال فالأسطورة كما قلنا متكاملة وتسير الى مدلول درامى له أهميته .. وسأحكى لك القصة متوخيا قدر الامكان أسلوب وهب مع قليل من الحذف والتصرف .

قال وهب : وولى الملك الصعب ذو القرنين بن الحارث الرائش وتجبر تجبرا لم يكن فى التبابعة متجبر مثله ، ولا أعظم سلطانا ولا أشد سطوة ، وكان له عرش من ذهب صامت مرصع بالدر والياقوت والزمرد والزبرجد ، وكان يلبس ثيابا منسوجة من الذهب منظومة درا وياقوتا ، فبينما هو فى ذلك المكان

اذ رأى رؤيا كأن آتيا أتاه فأخذ بيده وسار به جبلا عظيما مخيفا لا يسلك فيه سائر من هول ما رأى اذ أشرف على جهنم وهى تحته تزفر وأمواجها تلتطم وفيها قوم سود تتخطفهم النيران من كل جانب .. (فقال له الصعب) : من هؤلاء ؟ (قال) الجبابرة ؛ فاخلع يا صعب رداء الكبر وتواضع لله يعطك عزا أعظم من عزك ، وهيبة أجل من هيبة الكبر . فاختر لنفسك أى المقامين احب اليك .

قال وهب : فلما أصبح برز للناس بعد الحجابة ، وتواضع وانبسط بعد العز والقسوة ، وجلس بين الناس ودخل فى قلبه وحشه خوفا من الله .. ثم أمر بعرشه فأخرج ثم (قال) : أيها الناس اهتكوا ولكل يد ما تأخذ .. فهتك العرش وانتهبه الناس، ثم رمى بثوبه فتخطفه الناس (وقال) : أيها الناس ان الله الجبار يبغض الجبارين ، قهر بالموت من ادعى أنه نده ، وأذل بالملك من ادعى أنه ضده ، واستأثر بالبقاء بعد ذهاب الأملاء .

وقال وهب : ثم انه رأى فى الليلة الثانية كأنه نصب له سلم الى السماء ورقى عليه ، فلم يزل يرقى حتى بلغ الى السماء ، فسل سيفه ثم علقه مصلتا الى الثريا ، ثم أخذ بيده اليمنى الشمس ، وأخذ بيده اليسرى القمر .. ثم سار بهما ، وتبعته الدرارى والنجوم . ثم نزل بهما الى الأرض وهو يمشى والنجوم تتبعه .. ولما أفاق خرج الى الناس هائما لا يدرى ما هو فيه فاستنكر الناس أمره .

قال وهب : ولما كانت الليلة الثالثة راى كأنه جاع جوعا شديدا ،وظهر الى الأرض فصارت لهغذاء ،فأقبل عليها يأكلها جبلا جبلا ،وأرضا أرضا ،حتى أتىعليها كلها ، ثم عطش فأقبل على البحار يشربها بحرا بحرا حتى أتى على السبعة أبحر ، ثم أقبل على المحيط يشربه ، فلما أمعن فيه اذا هو بطين وحمأة سوداء لم تسغ له ، فتركه .. ثم أفاق من نومه ، فلما أصبح هام وحار فيما رأى ، وغاب عن الناس لما به .. فقال الناس : يوما يظهر ويوما يحتجب !!

قال وهب : فلما نام فى الليلة الرابعة رأى كأن الانس والجن أتوه من الأرض كلها حتى جلسوا بين يديه ، ثم أقبلت الوحوش من الأرض كلها حتى جلست بين يديه ، ثم أقبلت الطير كلها حتى أظلته ، وأقبلت الهوام من جميع الأرض كلها حتى حفت به ، ثم أقبلت الرياح حتى استدارت فوقه ، فأرسل أمما من الانس والجن مع ريح الشمال فهبت بهم الى يمين الأرض ، فلما ذهبت أمر البهائم والأنعام فذهبت بهم الرياح فذهبوا فى سبيل الانس والجن ، ثم أمر الطير ، فذهبت بها الرياح فى الوجوه الأربع .. ثم أمر الرياح ، فذهبت بالوحوش ، وحبس سباعها تحت قدميه .. ثم أمر الرياح فذهبت بالهوام فى سبيل من مضى من جميع من أرسل . فلما أصبح غلب عليه هول ما رأى فى الرؤيا الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، فأرسل فى وزرائه واهل مشورته ووجوه قومه فجمعهم ، ثم قص عليهم ما رأى وطلب منهم تفسيره .

ويمضى وهب يحكى حيرة القوم ودهشتهم وجهلهم بتفسير هذه الرؤى الغريبة، الى أن يقوم له شيخ له عقل ودين، وقد جرب الأمور وحنكته الدهور، فيقول له أن ليس على الأرض من يفسر ما رأى الا نبى ببيت المقدس من ولد اسحاق بن ابراهيم الخليل .. ويعزم الصعب على الذهاب الى هذا النبى بحثا عن تفسير ما رأى ، فيحشد جيشا زاخرا لجبا ، ثم مضى فى طريقه مارا بمكة البلد الحرام ، فمشى فى الحرم راجلا حافيا ، وطاف بالبيت وحلق ونحر ، ثم ركب وسار الى بيت المقدس ، فلما نزل به سأل عن النبى الذى ذكر له حتى ظهر له ، وهو موسى الخضر (قال له): أيوحى اليك يا موسى ؟ قال نعم ياذا القرنين ، (قال له الصعب): وما هذا الاسم الذى دعوتنى به ؟ (قال له) انت صاحب قرنى الشـــمس ..

قال وهب : ثم قص عليه ما رأى فى نومه (فقال له) : ان الله مكن لك فى الأرض ، واعطاك من كل شىء سببا . فأما جهنم فقد أنذرت ، فانتبه . فأما طلوعك الى السماء فهو علم من عند الله تدركه . وأما الشمس والقمر والدرارى والنجوم ، فانه لايبقى معك فى الأرض ملك الا خلعته ، ولا راس الا اتبعك . وأمـــا الأرض التى أكلتها الى غايتها فلم تبق منها شيئا ، فانك تملك الأرض ومن عليها .. والسبعة بحار التى شربتها فانك تركب السبعة أبحر وتملك جزائرها .. وأما البحر المحيط فانك تركبه وتبلغ منه غاية حتى يأتيك عكر لا تســـتطيع أن تعبره ، فترجع دونه .. وأما الأنس والجن ، فانك تنقلهم فى الأرض من مكان

الى مكان ، تحول أهل المغرب الى المشرق . وأهل المشرق الى المغرب . وأهل يمين الأرض الى شمالها . وأهل شمال الأرض الى يمينها .. وأما الأنعام والبهائم ، فانها تسخر لك .. وأما الوحوش والطير والهوام ، فانها تسخر لك لا تضر شيئا فى زمانك ، وحيث ما شئت عقدتها فبيدك زمامها . وأما الرياح ، فانك تملك عقدها ، تصرف ضرها عن أى بلد شئت . وأما رؤياك أنك طفت بالشمس والقمر فى الأرض ، فانك ستجاوز مغرب الشمس وتصير فى ظلمة لا تهتدى الا بما فى يديك من العلم .. فانهض بأمر الله واعمل بطاعة الله ، فان الله يغنيك ويسددك ويوفقك ..

ثم يمضى وهب يحكى رحلة ذى القرنين الى مغرب الشمس ومعه الخضر وهو يطأ الأرض بالجنود ، يقتل ويسبى وينقل الناس من أرض الى أرض ، ثم تمضى به الرحلة الى أرض الحبشة ، ثم الى أرض السودان ، ويرى فى رحلته قوما بكما لا ينطقون ، وقوما زرق الأعين . ثم مر بقوم آذانهم كآذان الجمال . واستمرت به رحلته الى قوم آذانهم كبار من أعلى رأس أحدهم الى ذقنه .وهو عند كل قوم يقتل من كفر ويعفو عمن آمن .. ويستمر فى رحلته الى ان يبلغ الأندلس . ورام ركوب البحر المحيط ، فزفر عليه البحر وصار كالجبال الشم فبنى منارة وجعل عليها صنما من نحاس عقد بها عاصفات الريح ، ثم سكن البحر فلان ، فركبه وسار بجميع جموعة ، ثم طغى عليه البحر فبنى منارة أخرى ، ومضى فى سيره ، حتى انتهى الى عين

الشمس ، فوجدها تغرب فى عين حمئة فى البحر المحيط ، ووجد من دونها جزائر فيها أمم لا يفقهون ما يقولون ولا ما يقال لهم.. وسار حتى بلغ وادى الرمل ، وأقبلت الشمس حتى سقطت فى العين الحمئة ، فكاد يهلك ويهلك جميع من معه من حر الشمس .. فلما أتى وادى الرمل ، وجده يسيل بالرمل كالجبال الرواسى ، فرام أن يعبره فلم يطق .. وأخذ يرسل بأصحابه يكشفون له الطريق واحدا اثر الآخر وهم جميعا لا يرجعون .. فقال له الخضر : يكفيك يا ذا القرنين .

وتمضى الرحلة بذى القرنين حتى يبلغ الظلمة فصار ليله ونهاره واحدا ، وعين الشمس تسقط خلفه . ثم سار فى واد تزلق فيه الخيل والجمال ، وهو وادى الياقوت ، من أخذ منه ندم على انه لم يأخذ زيادة عما أخذ ، ومن لم يأخذ ندم على انه لم يأخذ من ياقوته مايغنيه..ثم انتهى الى الصخرة البيضاء حيث مات رسول ابراهيم عليه السلام الى هؤلاء القوم من قبل ..

يقول وهب : ثم دنا ذو القرنين من الصخرة ليرقى عليها فانتفضت وارتعدت وتقعقعت ، فرجع عنها فسكتت . ثم حاول العودة، وهو فى كل مرة يلقى منها هذا الصوت وتلك الحركة.. ثم دنا منها الخضر فسكتت فرقى عليها ، فلم يزل يرقى وذو القرنين ينظر اليه ، والخضر يطلع الى السماء حتى غاب عنه . فناداه مناد من السماء أن امض أمامك فاشرب فانها عين الحياة وتطهر فانك تعيش الى يوم النفخ فى الصور ، ويموت أهل السماوات والأرض فتموت حتما مقضيا .. فمضى حتى انتهى

الى راس الصخرة ، فأصاب عينا ينزل فيها ماء من ماء السماء فشرب منه وتطهر .. فلما رجع الخضر الى ذى القرنين قال له : يا ذا القرنين انى شربت من ماء الحياة وتطهرت منه ، واعطيت الحياة الى يوم النفخ فى الصور ثم أموت ، ومنعت انت ذلك ، ولك مدة تبلغها وتموت ، فارجع فليس بعدها مزيد لانس ولا جن..

وظل ذو القرنين فى مكانه زمنا الى أن أتاه الأمر فى رؤية له أثناء نومه أن يتجه نحو مشارق الأرض .. ثم عاد الى الأندلس ومنها برا الى الشام ، بينما عبر الخضر البرزخ وسار الى الشام . وهما يقتلان كل كافر فى طريقهما ، الى أن التقيا مرة ثانية ، فسارا معا يريدان مطلع الشمس ..

قال وهب : وسار ذو القرنين حتى بلغ المحيط من عجز الأرض تحت بنات نعش ، فأصاب فيها أمما فحملهم على الايمان، من آمن نجا ، ومن صدف عن الحق حمله على السيف . ثم عطف على الجزيرة ومضى الى العراق يدعو ويقتل . ثم قصد أرض فارس الى جبل الصخر ، فلاح له القصر الأبيض وهو قصر عابر ابن شامخ ، ثم نزل على القصر ودخله فرأى فيه أعاجيب شتى. فكان يرى من يمشى فيه من داخل القصر ، كما يرى من فى مجالسه من ظاهرها .. ثم سار حتى بلغ فجا عظيما بنهاوند . ثم لقيته جبال شم منيعة بينها شعاب عظيمة ، كل طريق منها يؤدى الى أمة ، فمضى فى هذه الطرق يحمل كل هذه الأمم على الايمان حملا بالسيف . ثم دخل أرض يأجوج ومأجوج . فلم يزل يأخذها

أرضا أرضا ، وأمة أمة حتى انتهى الى الأرض الشماء ، فلم يزل يخرقها بالطرق وهى جبال شم شوامخ حتى غلب عليهـا . وبلغ الأرض الهامدة فافتتحها ، وهى أرض مبسـوطة لا ربوة عليها ، ثم غلب على من بهـا ، وبلغ جزائر الأرض التى تزاور عنها الشمس عند طلوعها . فوجـد عندها قوما صغار الأعين صـغار الوجوه ، مشـعرين ، وجوههم كوجوه القرود ، وهم لا يظهرون فى النهار وانما يظهرون فى الليل . وسار فى أرضهم حتى بلغ أطراف جزائر المحيط ، فأصـاب بها أمما من يأجوج ومأجوج ، وهم قوم سود ، زرق الأعين ، طوال الوجـوه ، طوال الأنوف ، تشبه وجوههم وجوه الخنازير ، وهم يختفـون فى النهار من حر الشمس ، فدعاهم وآمنوا ..

قال وهب : ثم ركب البحر المحيط فسار فيه حولا حتى لج فى الظلمات ، وترك الشمس عن يمينـه ودخل أرضا بيضـاء كالثلج ، وعليها ضوء ليس كنـور الشمس ، نـور أبيض يكاد يخطف الأبصـار ، فرام أن يمشى ، فسـاخت بهم الدواب الى الصدور . فترك عساكره كلها ومضى وحده ، حتى أشرف على دار مفردة بيضاء فيها بيت واحد ، وعلى باب الدار رجل أبيض واقف ، وعلى سطح الدار آخر فى يده مزمار وعيناه الى السماء ، فقال له الذى على الباب : الى أين تريد يا ذا القرنين ألم يكفك أرض الانس والجن حتى أتيت أرض الملائكة ؟ فيسأل ذو القرنين والملك بجيبه ، فاذا به يعلم أن هذه أرض الملائكة ، وان هـذا الذى يقف بسطح الدار انما أوحى اليه أن يرى ذا القرنين كيف

ينفخ اسرافيل فى الصور ..ويعطيه الملاك عنقودا من عنب ويأمره أن يأكل منه هو وعسكره ، وأعطاه حجرا كالبيضة ، وقال له زنه بما ترى عينك من الدنيا ، فان لك فيه عبرة ، وأمره بالعودة ، فعاد الى عسكره .

قال وهب : وأكل ذو القرنين العنقود ، وأكل العسكر كلهم ، والعنقود لا ينقص ، حتى بلغ أرض العمار . ثم أخذ الحجر فوزن به كل جواهر الأرض ، فرجح الحجر ، فلم يزل يزنه بالحجر العظيم ، والحديد الكبير ، والحجر يرجح كل شيء،والخضر ينظر اليه ساكتا . فسأله ذو القرنين عن أمر الحجر ، فقال الخضر: هذا الحجر مثل لعينك ، لم يملأ عينيك جميع ما فى الأرض مثل هذا الحجر الذى لم يرجح عليه شيء فى الأرض .. ولكن هذا يملؤها .. ومد يده فأخذ قبضة من تراب فجعلها فى الكفة وجعل الحجر فى الكفة الثانية ، فرجح عليها التراب وخف الحجر. وقال الخضر : هذه عينك لا يملؤها الا التراب وهو الغالب عليها أما العنقود فهو حلاوة الدنيا مهما اكلت منها ومهما اكل جندك فهى لا تنفد ولا تزول ابدا .

وتمضى القصة بنا مع ذى القرنين حتى يبنى سدا بين الناس وبين يأجوج ومأجوج . ونسير معه فى أرض الهند وسمرقند وأرض الصين والسند ، وهو يقاتل الكافرين ويحملهم على الايمان بحد السيف، ثم سار يريد أرض تهامه والحجبمكة ، فلما صار من رمل العراق بموضع يقال له (صنو قراقر) رأى من الأسباب أنه يموت فى هذا المكان ، فلما رأى الموت ونعيت اليه نفسه اعلم بذلك

الخضر • ومرض ثمانى ليال ثم مات . ثم غاب الخضر فلم يظهر الى احد بعده الا الى موسى بن عمران النبى .

* * *

قصة ذى القرنين التى حكيت لك نقــلا عن وهب بن منبه تعرض للانسان فى أعلى مراتب قوته وعظمته .. فى نومه ترشده الأحلام الى خطوات غده ، وترسم له طريقه .. وفى اليقظــة يسير الى جواره نبى هو الخضر عليه السلام يفسر له ما غمض عليه من أمر ، ويسهم معه فى تحقيق رسالته .. ومن حــوله سخرت له كل القوى ، وذلل له كل صعب ، وبلغ من العز والجاه ما لم يبلغه احد من الملوك .. فرأى آيات الله بينــات واضحات تأمن به ؛ فكرس كل قوته فى نشر الايمان به والتصديق له حتى بلغ اطراف الأرض جميعا ، احتــل منها كل ما على سطحها ، وبسط سيفه فى كل اجناسها ، يدعوهم الى الايمان ، فمن آمن سلم ، ومن كفر قتله ، حتى يبلغ مغرب الشمس ، ثم يعــود ليبلغ مطلع الشمس. بل ويجوز أرض البشر الى ارض الملائكة..

هذا الملك رغم قوته التى استمدها من كل مظاهر القوة.. من الغيب الذى يعرفه فى أحلامه ، ومن حكمة الأرض التى تتمثل فى مرافقه الخضر ، ومن واقع حياته بما له من جيــوش جرارة واعوان لا يحصيهم العد .. ماذا فعل بكل هذا الملك العريض؟ وماذا حصل من علم ومعرفة بعد كل هذا العناء ؟ ..

القصة تقول انه تعلم حقيقة واحدة .. وهى أن مصيره التراب والفناء كغيره من البشر . فهو لم يستطع أن يجتاز عتبات الخلود مرتين .. الأولى عند مغرب الشمس حين صادف جبل الصخرة ، فأبى الجبل أن يكون له مرتقى ذلولا ، بل أن واهتز وصدرت منه أصوات مخيفة فتراجع عنه ، بينما رقيه الخضر ليصل الى قمته حيث يشرب من ماء الخلود ، ويعود الى ذى القرنين وقد نال ما لم يستطع الملك الجبار أن يحصل عليه .. والثانية فى مطلع الشمس حين يصل الى أرض الملائكة حيث يجد ملاكا يذكره بوقفته بالفناء ، فهو يتطلع الى السماء نافخا فى مزمار ، وكأنما يقول له ما العالم كله الا الى فناء يوم ينفخ فى الصور ، وحيث يجد ملاكا آخر يعطيه حجرا يزن كل أثقال الأرض ويرجح عليها ولكنه لا يرجح حفنة من التراب .. ويفسر له الخضر الأمر بأن الحجر عيناه التى لايملؤها كل ما فى الأرض من كنوز ولكن يملؤها التراب .. وما يمر قليل زمن حتى يموت وينتهى .

والقصة كما ترى تبرز عجز الانسان وقصوره . تبرز القيد الرهيب الذى لا يستطيع أن يجد منه خلاصا ، فهو يتخبط فيه أبدا بلا فكاك . هذا القيد هو طبيعته الانسانية التى هى التراب والى التراب تعود . ومنزلته لا يمكن أن تصل الى منزلة الأنبياء الذين يمكن أن يخلدوا بأمر ربهم الى يوم القيامة ، ومنزلته أيضا لا يمكن أن تصل الى منزلة الملائكة الخالدين أبدا يحفون بعرش الله ..

- فما هو السبيل ؟ ..

الزهد مثـــلا ! لقد لجأ ذو القرنين اليه فهتك عرشه ورمى ثوبه وترك الناس تتخطفه وتأخذ كل ما يروقها منه . ولـــكنه سرعان ما يرى فى نومه أنه يرقى الى السماء حيث يعلق ســـيفه مصنتا على الثريا ، بينما يأخذ الشمس بيمينه ، والقمر بيساره ، ويسير تتبعه باقى النجوم .

فهو المجد اذن . ؟ ولكنه يفتح العالم ، ويحصل على ما لم يحصل عليه بشر من المجد والرفعة ، ثم يموت كما مات غيره ممن لم يفعلوا شيئا ، ولم يصلوا الى تحقيق شىء مما حقق ..

العبادة والطاعة . ؟ ومن مثله أرغم أمم الأرض جميعـــا على عبادة الله ، وقتـــل من كفر فى كل البلاد ، من هم أسوياء الخلقة ومن لهم وجوه كوجوه القرود ، ومن لهم وجوه كوجوه الخنازير ؟

فما الأمر ؟ الأمر أن الانسان عاجز مهما امتدت له أسباب القوة ، جائع نهم مهما أكل من الأرض وشرب بحارها ومحيطاتها، ضعيف مهما سخرت له الرياح والحيوانات والهوام وكل القوى، قاصر مهمـــا بلغ علمـــه كل ما على الأرض من أمم وما فوقهـــا من جبال وأنهار وصحراوات .. الأمر أنه أسير ما ركب فيه من عناصر، لعل أخطرها عليه وأكثرها قوة فى توجيهه ،عنصر الفناء .. فهو لن يهرب منه حتى لو وصل الى مغرب الشمس ، وهو لن يفلت منه حتى لو وصل الى مطلع الشمس . وهو لن يخدع مصيره حتى لو ذلل كل الأرض بسيفه ، ولن يعفى منه حتى لو زهد فى كل شىء وترك كل نعيم .. الأمر أن الانسان لن يستطيع

أن يتغلب على قصوره وعجزه ، وانه يتخبط فى هذا القصور والعجز أبدا ، بلا فكاك .

هذا المعنى الدرامى واضح وضوحا كاملا فى القصة منذ بدايتها ، ويسير معها حتى نهايتها ، وهو يتضح فى عديد من أساطير العرب وقصصهم ، فلقمان بن عاد الذى سمته حمير (الرايش) لأنه كان متواضعا لله ولم يكن متوجا. يقول وهب عنه انه كان يدعو الله قبل كل صلاة سائلا اياه (عمرا فوق كل عمر) فنودى قد أجيبت دعوتك وأعطيت سؤالك . ولاسبيل الى الخلود، واختر ان شئت بقاء سبع بقرات ، وان شئت بقاء سبع نوايات، وان شئت بقاء سبعة انسر كلما هلك نسر عقب بعده نسر ، فكان انه اختار بقاء سبعة انسر . ولقمان لم يقض عمره هذا فاتحا غازيا ، وانما قضاه ينثر الحكمة ويحق العدل ، ويرسم للناس طريق الصلاح والسداد .. ويمر نسر ونسر الى سبعة انسر ثم يموت . فالفناء اذن مدرك الانسان مهما عاش ، ومهما امتد به الأجل . والرجل الذى أحق كلمة الله فى الأرض بسيفه ، ينتهى الى نفس نهاية الرجل الذى أحق كلمة الله بعدله وحكمته .

وشبيهة بهذه النهاية نهاية (ناشر النعم) الذى قام برحلات تشابه تلك التى قام بها ذو القرنين وينتهى نفس النهاية .. وناشر النعم هذا هو (تبع الأكبر) . ثم هى تشبه نهاية قصة ابنه (شمر يرعش) الذى خرج فى عسكر لم يجمع أحد مثله منذ ذى القرنين ففتح العالم كله ودانت له أمم الارض ، وأصبحت تأتيه بالجزية وهى صاغرة .. ثم كانت النهاية ! .

والواقع أن القاص العربى انما يحاول قاصدا أن يدفعك دفعا الى أن ترى هذه الوقفة الدرامية ، التى يقفها الانسان قادرا كل القدرة ، وعاجزا كل العجز فى نفس الوقت . وكأنما هو قصد قصدا الى الوصول الى هذا المضمون فى وضوح لا لبس فيه .

وحينما يتقدم الزمن وتمر على جمع هذه القصص فى كتاب التيجان قرون ، تخرج لنا القصة العربية **سيف بن ذى يزن** ، تكاد تحمل نفس السمات ونفس المضمون ..

فسيف ملك حميرى يخرج من الجزيرة ليخضع العالم للايمان ، فيملك العالم كله ، ويحارب الأحباش على ماء النيل فيجريه ، ويسخر الله له الانس والجن ، ويعطيه القوة الجسدية الهائلة والأعوان الشجعان ، ثم هو يعطيه طاعة الحكماء وأهل العلم من أبناء عصره .. وهو يعطيه أيضا طاعة القوى الخارقة كالجن السحرة .. بل ان سيف بن ذى يزن يلقى فى القصة الخضر عليه السلام وغيره من المؤمنين المخلدين فيساعدونه وينجونه من المآزق ومواقف الخطر .. ثم يموت ليدفن فى جبل الجيوشى بالقاهرة .. وكأن رحلته ما كانت ، وكأن حربه ماقامت، وكأن كفاحه ما وجد ..

والواقع أن قصة سيف هذه تكاد تشبه فى سيرها ومضمونها قصة شمر يرعش ، فهو الذى يحارب الأحباش على ماء النيل ويستخلص منهم مصر .. وهو الذى يخوض حربا كبيرة ضد

الأحباش التى تتكالب عليه ، فينتصر عليها مثبتا الملك العربى الحميرى ..

وكتاب وهب بن منبه التيجان يورد فى آخر فصوله التى جاءتنا قصة ملك حميرى هو سيف بن ذى يزن وهو آخر ملوك التبابعة ، الا أن سيرة هذا الملك تبعد البعد كله عن القصة التى عرفها الشعب العربى باسم قصة سيف بن ذى يزن .. فسيف فى رواية وهب كان واليا على بلده من لدن كسرى ، وقد استعان بالفرس على اخراج الأحباش من بلده .. ولعل خيال القاص العربى فيما بعد قد اختار هذا الاسم لانه اسم آخر الملوك التبابعة ، ثم اختار من حيوات أسلافه ما يكمل به القصة ..

ودراسة سيف كملك له تاريخ معروف ، ثم دراسته كبطل اسطورى كتبت عنه ملحمة نثرية كبيرة وضخمة ، كفيل بأن يبرز لنا ملائح فن القصة العربية وملامح جهد مؤلفيها، وأصولها الفنية.

وأحسب أن نفس الجهد لو بذل فى دراسة شخصية عنترة الشاعر العبسى المعروف صاحب المعلقات ، دراسة مقارنة بشخصية عنترة بطل السيرة الشعبية المعروفة باسمه، كفيل بتحقيق نفس الغاية وابراز ملامح فن كتابة الرواية أو السيرة الشعبية العربية بصفتها فنا عربيا مميزا ، حقق ذاته فى أكثر من عمل بقيت رغم الزمن ورغم الموقف المتعسف الذى وقفه الدارسون والنقاد منها ..

* * *